تعد لمعارض في مونبلييه الفرنسية

التشكيلية المغربية نسرين صفار: التجريد لغة معقدة

مديد ـ «القدس العربي»
من خالد الكطابي:

تقيم الفنانة المغربية نسرين صفار في مدينة سيت الفرنسية، لكن حساسية أناملها تنصت لما يقع على ضفاتي المتوسط، حيث تنشغل فنيا وجماليا بالأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة، لتقربنا عبر اللون من ثورات «الربيع العربي»، بعد اقتفاء أثر بصمات تربة بلدان المتوسط والاشتغال عليها.

وتبحث نسرين، التي رأت النور في مدينة فاس سنة 1983، من خلال أعمالها عن الروابط التي تجمع شعوب البحر الأبيض المتوسط، التي تمكن من التداول الحر للأفكار.

وصفار، خريجة معهد الفنون الجميلة في فرنسا سنة 2014، سبق لها أن قدمت مجموعة من المعارض فردية وجماعية على المستوى الدولي: في الصين، فرنسا، المغرب، الجزائر، تركيا، هنغاريا وأوكرانيا، كما شاركت في إقامات فنية دولية في كل من قطر وبلغاريا والمجر.

وتشير التشكيلية المغربية، التي تمتح من تعدد ثقافات المتوسط، إلى أن الفن يجعل العالم يتقدم إلى الأمام، ويتجاوز الحدود ويعطينا ذكاء وفهما في نظرتنا إلى العالم، وتعتبر أن الفن بشكل عام لا يمكن أن يزدهر في ظل الحظر، كما تشعر بالأسف جراء الأزمة التي يمر بها العالم العربي منتقدة انتشار الحروب والجريمة والمعاناة التي أصبحت متكررة والظلم الشامل، وترى نسرين، التي تحدثنا في هذا الحوار عن عالمها الفني، أن الإرهابيين يريدون تدمير ثقافاتنا العصرية نتيجة الجهل والازدراء.. وتطالب صناع القرار بالتركيز على التعليم الذي يمنح العدة المعرفية للشباب للنضال ضد الهمجية ..

■ ما الذي يعنيه التشكيل بالنسبة للفنانة نسرين صفار؟

□ الفن التشكيلي بالنسبة لي حرية تعبير كبيرة، وأكرس حياتي لتطوير عملي، بالبحث المستمر على المستوى الشكلي متوكلة على نظرتي إلى العالم. فالفنانون ليسوا فلاسفة ولا علماء اجتماع لكنهم يقدمون خدمة للعالم من أجل النهوض به.

■ يغلب على لوحاتك طابع التجريد لماذا اخترت هذا الاتجاه دون غيره؟

□ التجريد لغة تعبير جد معقدة، أعبر من خلالها بحرية أكبر فكريا حركيا وجسديا، ومعرفة تتطلب تفكيرا شخصيا كبيرا والعمل على الذات، التجريد في رأيي هو ذلك الطي الحاصل بين العالم المرئي والعالم المحسوس.

■ لماذا يطغى في لوحاتك اللونان الأصفر والأزرق؟

□ أوظف اللون الأصفر في عملي لكونه يمثل العلامات التي تدل على الأماكن المحظورة أو المناطق الحدودية والصراعات، أما اللون الأزرق فهو استعارة للبحر الأبيض المتوسط.

■ من هم الفنانون الذين تأثرت بهم؟

□ أحب عمل روبرت روزنبرغ، جيرهارد ريختر، كريستوفر وول، ولكن أيضا البرت أوبلهين من أجل استلهام الطاقة والعنف.. وجميع الفنانين الذين تمكنت من الالتقاء بهم في فرنسا التي أعيش فيها.

■ في أحد معارضك قدمت لوحات اشتغلت فيها على تتبع أثر بصمات التربة على القماش في عدد من بلدان المتوسط. هل كان لها علاقة بما تعيشه هذه المنطقة اجتماعيا وسياسيا؟

□ لقد أخذت بصمات التربة من كل بلدان البحر الأبيض المتوسط، حيث اشتغل ضمن مشروع التصويرية الذي يقدم العديد من الآثار المترتبة عنها.. ويشكل قيمة شعرية وتوجها سياسيا أكبر والبحث عن روابط بين جميع شعوب البحر الأبيض المتوسط، تمكن من التداول الحر للأفكار، أعيش على جانبي الضفتين، لكنني حساسة بشكل خاص للأحداث الاجتماعية والتاريخية المتعلقة بهذه البلدان، وأعمالي الفنية تشهد بذلك. لقد بدأت هذا التوجه الفني انطلاقا من «الربيع العربي»، الذي شكل محركا لبحثي على عينات من بصمات التربة في جميع أنحاء المتوسط.

■ في نظرك هل لامست تلك الثورات الميدان الفني أم أنها كانت سياسية فقط؟

□ إذا تم وضع الأنظمة الديمقراطية على النحو المطلوب تماما كما يبدو لي في تونس، سنكون كلها أملا في الحرية، حرية التعبير، بل حرية الرأي والفكر. وليس فقط للفنون التشكيلية ولكن السينما والأدب، فالفن بشكل عام لا يمكن أن يزدهر في ظل الحظر.

■ يعيش العالم اليوم موجة من الدمار الشامل إنسانيا وماديا، فمن جهة هناك مجازر يتعرض لها الشعب السوري، وهناك أيضا عمليات إرهابية ضرب أوروبا.. هل يمكن للفن أن يقاوم مثل هذه البشاعة؟

□ للأسف العالم العربي يسير بأزمة.. بالحرب والجريمة والمعاناة التي أصبحت متكررة والظلم الكلي، الإرهابيون يريدون تدمير ثقافاتنا العصرية، هندستنا المعمارية، كتبنا، وأعمالنا، نتيجة الجهل والازدراء. لكنني واثقة من أن جميع الفنانين في العالم العربي قد حشدوا أسلحتهم ضد هذه الهمجية. فالمقولة الشهيرة لهولدرلين، التي قالها في فجر العصر الحديث، «ما فائدة الشعراء في زمن البأساء والضراء»، تنطبق أيضا على رافعتنا، ولكن ينبغي على كل فنان أن يتحمل مسؤوليته.

■ هل ما تعيشه يتعلق بتدني مستوانا الفني عربيا؟

□ تم لسوء الحظ، طيلة سنوات عديدة، تجاهل عالم الفنون وتعليمها للتلميذة أطفالنا في وقت مبكر. يجب علينا أن نشجع جميع المبادرات الحسنة، ويتعين على صناع القرار التركيز على التعليم ومنح العدة للشباب للنضال ضد الهمجية والجهل. الأولوية للتعليم، وليس فنيا فقط، ليكون قيمة مطلقة حقيقية في العالم العربي. فالفن يجعل العالم يتقدم إلى الأمام ويتخطى الحدود، ويعطينا ذكاء وفهما في نظرتنا إلى العالم.

■ عرفت في متحف «تشونغ كينغ» للفنون الجميلة، في الصين، في نظرك هل هناك مواصفات للمتلقي الصيني وذوق خاص بالسوق الفنية في تلك البلد تختلف عما هو عليه في البلدان الأخرى؟

□ كانت لي تجربة رائعة خلال إقامتي في الصين، لقد كان الاستقبال دافئا ورديا جدا من طرف المتاحف الكبرى في بكين. ولكن ما أعجبني أكثر، وهو أمر لم يسبق لي أن رأيته في بلدي، هو أن الصين لديها احترام كبير للفنانين الصينيين الشباب، تشجعهم مع دعم كبير، من خلال شراء لوحاتهم. وعلى عكس ما يحدث، وإن بشكل أقل، في المغرب وحضارات المتوسط، حيث لا يتم الاهتمام بك إلا إذا كنت شبحا أو لديك خبرة. الصينيون يقدرون الشباب ويقدسونه وهذا ما يعطي المشهد حيوية فنية استثنائية.

■ تقيمين معارض كثيرة في الخارج أكثر من المغرب، في نظرك هل يرجع ذلك لكون السوق الفنية المغربية لا تتطلع إلى مستوى الفنان؟

□ معرفتي بالفنانين في المغرب حديثة جدا، ويجب أن تعطى اهتماما للمغرب والمغاربة. أما بالنسبة لي، هذا صحيح أنني عرضت في العديد من البلدان، ولكن الأولوية بالنسبة لي هي بلدي، لأنه لا يزال هناك الكثير الذي يتعين القيام به، إن هذا البلد لا يزال شابا في نظرته وعلى المؤسسات والرأي العام أن يشجعا الفن المعاصر. أنا دائما أبدي الدعوات التي توجه لي للعرض في المغرب.. صحيح أنني أحظى بإقبال في الخارج. أشعر بأسف عميق لذلك، ولكن من ناحية المستوى فهناك معنى نسبي جدا لأن عليك أن تأخذ بعين الاعتبار الثقافات والتقاليد. هذا هو «خطاب داكار الشهير» الذي ألقاه ساركوزي، وقال فيه الرجل الأفريقي لم يدخل التاريخ بشكل كاف، ويعتبر أن هناك معنى للتاريخ. فالمستوى مفروض من قبل الغرب الذي على ضوئه سيجري تقييم الآخرين. لذلك يجب على الفنانين المغاربة أن يجدوا مكانهم في هذا الفصام الثقافي بين التقليد والنموذج الغربي.

■ ما هي مشاريعك المستقبلية؟

□ أولا إحراز تقدم في مشروعي المتعلق بأخذ بصمات في منطقة البحر الأبيض المتوسط ثم إعداد مجموعة من المعارض في مونبلييه في هذا الصيف وبعده. وأود أن أتقدم أيضا في مشروع يتعلق بالنشر، حيث أجمع بين النصوص واللوحات انطلاقا من نظرتي الخاصة، كما أرغب لو سنحت لي الفرصة القيام بدور نشيط في البناء الفني في بلدي المغرب.

آية الاتاسي*

الحب وما وراءه

غداً... سأحبك أيضاً

الحب لا يفرق بين كبير وصغير، امرأة ورجل، فقير وغني، جاهل ومثقف، قاتل وقتيل...

شيء كالفيروس الذي يصيب القلب، كل قلب لا محالة، ولا تنفع معه مضادات الغرام ولا مقاربات العقل والمنطق...

الوقوع في الحب يعيد خلقنا، فقد يحولنا لشعراء نجيد التعبير وقد يصيبنا بالخرس، قد يمنحنا الحكمة وقد يعيد لنا براءة الأطفال، قد يفقدنا الشهية أو يصيبنا بجوع دائم، ولكن عوارضه الأولى لا تخطئها العين ابتداءً من بريق السعادة في العينين وفراشات البطن الملونة وعزلة العاشق للاختلاء بطيف المعشوق...

الحب لا يشكلنا وحدنا بل يعيد تشكيل المحبوب على مقاس الحب فيبدو متجاوزاً لكل ما عداه، ويأخذنا الخيال للافتتان بنادق التفاصيل، كحفرة الذقن، شامة الخد، نبرة الصوت، وخصلة الشعر الهاربة...

حتى العالم من حولنا يبدو لنا بصورة مغايرة، وكأن لحواسنا الخمس حاسة سادسة اسمها «الحب».. أو كأن الحب يهندس خيالنا ويصوغ للينا، ويأخذ منا كل شيء ليمنحنا كل شيء على طريقته الخاصة.. ولكن أين يبدأ الحب وأين ينتهي، وما هو الحد بين الجسد والروح فيه؟

الحب... والرغبة الجنسية:

هل انحرف الدافع الجنسي عن غايته الأصلية أو كفّ عن بلوغها، فكان الحب؟

أو هل ربط الشهوة الجنسية بالروح والتسامي بها جعل البشر يخترعون الحب وينتظرون من الأسنان إلى الشفاه ومن العضة إلى القبلة؟ ربما يستطيع علم النفس الإجابة عن هذه الأسئلة بشكل أدق، ولكن من الناحية الفيزيولوجية الإنسان قادر على بلوغ النشوة الجنسية وحده من دون شريك أو من دون عاطفة، ولكن مفعول النشوة تلك يزول سريعاً ويصيب الروح بالخواء... بينما النشوة الصاحبة للحب تصيب العاشق بالامتلاء الجسدي والروحي، مما يجعلها شفاءً يستمر بعد الإشباع الجنسي متجاوزاً حدود الجسد والممكن... أما منشأ الرغبة الجنسية في الحب فهو مختلف بين الرجل والمرأة.

وحسب المحلل النفسي الشهير ثيودور رايك: «الرغبة غالباً هي التي تنجب الحب لدى الرجال، أما لدى النساء فالحب هو الذي ينجب الرغبة، ويشكل أكثر دقة فإن الرغبة غير المتحققة هي التي تنجب الحب عند الرجال، وعند النساء ليس الحب ما ينجب الرغبة وإنما التحقق من كونهن محبوبات ومطلوبات»... ويمكننا الذهاب أبعد مما قاله رايك، والادعاء بأن الحب مفهوم أنثوي للجنس أقحمته المرأة كفكرة في عقل الرجل، ولكنه ظل جنسياً، ولكنه لا يستطع امتلاكها عاطفياً ولا إعادتها إليه إلا بالحب.

الحب... بين التكامل والامتلاك:

هل نقم في غرام من يكملنا وننجذب لما ينقصنا؟ حسب الأساطير